المفاوضات آتية رغم كل العقبات

محمود عبد المنعم مراد

أكتوبر

منذ أسبوعين ، كتبت فى هذا الباب كلمة بعنوان « الموعد فات ولكن « القطار لم يفت » وكنت أقصد بالموعد ٢٦ مايو ، وأقصد بالقطار المنتظر ، إجراء المفاوضات الخاصة بالحكم الذاتى .

وفى خلال تلك الفترة وقعت أحداث مؤسفة مثيرة ، كالاعتداء الآثم على عمد الضفة الغربية ، وأذيعت تصريحات تدعو الى مزيد من الأسف والإثارة ، من مناحم بيجين الذى لا يكف عن التصريح بأن القدس عاصمة موحدة لإسرائيل ، وأن الضفة الغربية وغزة أرض إسرائيلية محررة ، وليست أرضا عربية محتلة ، وأنه لا يأبه لأى قرار يتخذه مجلس الأمن ، وأنه لن ينفذه ، إلى آخر هذه التصريحات الكفيلة بتبديد الآمال ، وعرقلة الجهود المبذولة للوصول إلى اتفاق . ومع ذلك كله ، لما زلت أقول إن المفاوضات آتية ، ولابد من الوصول إلى حل .

واذا كنا نقيم للتفاصيل وزنا ، ونضرب فى تيه التصريحات اليومية ، والعوامل المساعدة القانونية ، فان الصورة تبدو قاتمة مظلمة ، والأمل يتبدد مع الريح . فالصحيح أن القضية الفلسطينية معقدة أشد التعقيد ، ولاأحسب أن التاريخ الحديث قد شهد لها مثيلا . ويبدو للعيان ، اختلاف وجهات النظر بين جميع الأطراف المعنية ، بل ان كل طرف من هذه الأطراف ، لايكاد يتبنى وجهة نظره واحدة ثابتة فعلى الساحة الدولية ككل ، هناك خلاف بين القوتين العظميين ، وعلى صعيد الكتلة الغربية التى تتحرك بديناميكية وفاعلية أكثر ، لارتباطها الأوثق بكل من العرب واسرائيل ، هناك خلاف فى وجهة النظر بين أمريكا وحلفائها الغربيين . وبين الحلفاء الغربيين أنفسهم خلافات وانقسامات فى الرأى ، يحاولون تصفيتها فى فينيسيا ، أو فى غيرها من المدن . وعلى الجانب الآخر ، نجد العالم العربى منقسما أشد الانقسام ، والدول العربية موزعة النظرات فى شتى الاتجاهات ، فمنها من يرى الولايات المتحدة هى الكفيلة وحدها بحل المشكلة ، ومنها من يتبع تعليمات موسكو ، ومنها من يحاول الاستعانة بأوروبا الغربية ، ومنها من لايعرف كيف يولى وجهه ! حتى اسرائيل نفسها أصبحت ممزقة ، ففيها جماعات متطرفة تعيد الى الأذهان عصابات سنة ٤٨ ، تعمد الى النسف والقتل والارهاب ، وتتمسك بالأرض ولو بالقوة . وفيها اتجاهات معتدلة ، تريد الفوز بالسلام ، بأقل قدر من الخسائر ، أو بأكبر قدر من المكاسب . وفيها اتجاهات تنادى علانية بوجوب تحقيق السلام الآن ، بل تنادى بحق تقرير المصير لعرب فلسطين .

والمنظمة الفلسطينية ، شأنها شأن الوطن العربى ككل ، من حيث الانقسام والخلاف والتفكك . ففيها ماركسيون متطرفون لايتطلعون الا بلسان موسكو ، وفيها بعثيون يتبعون سوريا ، وبعثيون آخرون يتبعون العراق ، وفيها معتدلون يقولون سرا ان مصر وأمريكا قد تحققان لهم شيئا ، وبين هؤلاء وهؤلاء ، خلافات فى الرأى ، وانقسامات فى وجهات النظر . والفلسطينيون عامة ، ليست لهم مصالح موحدة ، ولاوجهة نظر واحدة . ففيهم زعماء السياسة والكلام والتصريحات والخطب ، وفيهم المنتفعون بالقضية الفلسطينية ، وفيهم قوم يعيشون خارج الأرض المحتلة ، وآخرون يعيشون بداخلها ، ولكل ظروفه وأوضاعه الاجتماعية والاقتصادية ، ومصالحه الخاصة التى تحدد وجهة نظره .

هذا هو الحال بتفصيلاته ، ومع ذلك ، فاذا نحن ابتعدنا عن الصورة ، أو ارتفعنا عنها لننظر اليها من بعيد ، أو من عل ، وجدنا أن كل هذه التفاصيل أدعى الى وجوب البحث عن حل ، والوصول اليه ، لا إلى النكوص والفشل . فاسرائيل لايمكن أن تعيش الى الأبد فى ظل الظروف التى تعيش فيها الآن ، ولحت وطأة عداوة مائة مليون عربى يحيطون بها من كل جانب ، والفلسطينيون لن يكفوا عن الثورة القضية ، والغرب الأوروبى لايمكن أن يضع على نفسه قرصة الفرق من القوة العربية النفطية الشرائية ، التى تشترى بالبلايين أسلحة وبضائع استهلاكية ، وتمد الغرب بالطاقة اللازمة ، وأمريكا وروسيا لايمكن أن يتركا المنطقة لكل من هب ودب ، من أصحابها ، أو من غيرهم ، وسيظل النزاع يمتد الى أن يعتر الجميع على « صيغة » ترضى جميع الأطراف ، وتهدئ من جو التوتر المشحون بالمخاطر ، ويقنع كل طرف بما يمكنه أن يفوز به ، ومادامت المصلحة هى مفتاح السياسة ، فمصلحة الجميع ، كما هو واضح الآن ، أن تحل القضية لصالح الشعب الفلسطينى خاصة ، وللأمة العربية بوجه عام .

والمسألة مسألة وقت ، ونحن العرب نبدده ونؤخر الحل ، بالفرقة والانقسام ، وبوضع الاعتبارات الشخصية ، فوق الاعتبارات القومية العامة ، ولكننا حتما سنفيق ، وسنعرف كيف نلعب دورنا فى هذه المعركة الفوجاء التى يخوضها جميع الأطراف ، فى ليل دامس الظلام ، واذا كنا حتى الآن قد ضيعنا كثيرا من الفرص ، وأغفلنا كثيرا من الحقائق ، وتصرفنا تصرف الشرقيين الذين كانوا يعيشون فى القرون الوسطى ، فإن القطار لم يفت .

ودور مصر فى كل هذا واضح صريح فعال ، وسيحكم له التاريخ ، ولو بعد أجيال ، ولاداعى للتشاؤم واحباط الهمم ، فسوف تزول كل الشدائد ، وتتزاح عن الطريق جميع العقبات والألغام .

● د. ممدوح حمزة ... الانفجار السكانى ليس مشكلة صحية فى المرتبة الأولى

المشكلة الكبرى

تلك هى مشكلة الانفجار السكانى ، والزيادة الرهيبة فى عدد المواطنين المصريين كل عام ، وكنت منذ بضعة أشهر قد كتبت فى هذا الباب ، كلمة خاطفة عبرت فيها عن رأى ما زلت أومن به ، هو أن هذه الزيادة ليست خطرا داهما كما يدعى بعض ذوى الخبرة .

وقلت انه ما من انسان يولد ، يعجز عن تحصيل قوت يومه ، وإنه من الأفضل لمصر أن يكون تعداد سكانها ستين مليونا ، بدلا من الأربعين الذين يعيشون على سطحها الآن ، وقلت ، فيما أذكر ، إنه لاشك توجد لدينا بطالة مقنعة ، ولكنه لانوجد بطالة ظاهرة ، وضربت مثلا لذلك بأننا أصبحنا نستورد عددا كبيرا من العمال ، وخاصة عمال البناء ، من كوريا وغيرها ، لتعويض ما ينقصنا من الأيدى العاملة

● بيجين ... كل يدرك بطولته الشديدة !!

التى هاجرت الى الخارج . أو تحول أبناؤها الى طبقة اخرى . هى طبقة الحاصلين على الشهادات . القابعين وراء مكاتبهم . اذا وجدت لهم مكاتب .

ومنذ أيام . نشرت الأهرام مقالا للأستاذ الدكتور محمد صبور الأستاذ بطب عين شمس . قال فى عنوانه « زيادة السكان نعمة لا نقمة . وخير لاشر » . وقد قرأت المقال . كما قرأه مئات الألوف باهتمام شديد . ذلك أن هذا الرأى قلما يكتب عنه المفكرون والباحثون الخبراء . من وجهة النظر هذه . خشية الخروج على المألوف . أو تحرجا من مواجهة السياسة المرسومة للدولة . وفى ظنى أن مثل هذا الموضوع الحيوى الخطير . ينبغى أن ينال مزيدا من الدراسة والتمحيص . وأن يقول كل امرئ قادر على القول كلمته .

وقد بادر الدكتور ممدوح جبر وزير الصحة بالرد على مقال الدكتور صبور . وكان رده مدعما بالأسانيد والحجج الموضوعية . ثم مالبث أن انضم اليه نقيب الأطباء الدكتور حمدى السيد . موافقا على رأى وزير الصحة . مضيفا اليه حججا جديدة .

والدكتور ممدوح جبر . والدكتور حمدى السيد . ومن قبلهما الدكتور محمد صبور . جميعهم أطباء . والمشكلة ليست بالدرجة الأولى مشكلة صحية . انما هى تحتاج الى آراء رجال التخطيط والاقتصاد والاجتماع وعلم السكان وتخطيط المدن . ومن قبلهم جميعا . رجال الدين . ولهذا فانه لما يثير اهتمام الجماهير . أن يشارك هؤلاء جميعا فى بحث المشكلة من جميع جوانبها . ولأقول . قبل أن يتخذ قرار بشأنها . لأن هذه المشكلة لن يحلها أى قرار يتخذ ! ذلك أننا لو افترضنا أن الآراء قد اتفقت جميعها على أن زيادة السكان خطر يجب مواجهته . لظل هناك السؤال الحائر . وماذا نفعل ؟ هل نكتفى بهذه الحملة الاعلامية التى لقيت من النقد والسخرية مالم تنله أية حملة أخرى . وهى التى تبرزها الصحف والتليفزيون بعنوان « انظر حولك » ؟ هل يمكن لمثل هذه الحملة أن تمنع الناس من كثرة التناسل . ومنهم أهل الريف . والأميون الذين لايقرأون . وهم الذين يمثلون الأغلبية الساحقة من بين المقبلين على زيادة النسل . وترك الأمور على الله . يدبرها بحكمته ؟ أى قانون يمكن أن يصدر بتنظيم الأسرة . وتحديد النسل ؟ أية حملة يمكن أن تقنع الفلاح المصرى بأن الأسرة الصغيرة العدد خير من الاسرة الكبيرة . وهم الذين يفاخر بعضهم بعضا بكثرة الأبناء . وعزة الانتماء الى العدد الكبير من أفراد العائلة ؟ ان هناك عقائد وقيما وعادات ينبغى علينا أولا أن نعمل لها حسابا .

ويأليت رجلا مثل الدكتور أحمد خليفة وزير الشئون الاجتماعية الأسبق . وليس المعهد القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية . يدلى برأيه فى هذا الموضوع الخطير . هو وغيره من الأساتذة المتخصصين . لأن الناس فى حاجة إلى حشد من العقول المفكرة فى مختلف الميادين . لتستطيع اقناع الجماهير بالحد من التناسل . أما الشعار السائد القائل « انظر حولك » فكفاه مالقى حتى الآن من نقد وتعليق ساخر !

الملايين بين يديك

والحديث موجه الى السيد جمال الناظر . وزير السياحة والطيران المدنى . أجل ! إن بين يديك يا سيدى الناظر . مئات الملايين من العملات الأجنبية . يمكن أن تضيفها إلى دخلنا القومى . أكثر بكثير . مما كان بين يديك حين كنت وزيرا للتعاون الاقتصادى ومسئولا عن الاستثمار العربى والأجنبى .

● د. جمال الناظر . خطوة سياحية سريعة .

وماعليك يا سيدى الوزير الا أن تولى وجهك شطر البحر الأحمر . ودعك الآن من الشاطئ الشمالى الغربى . فالسياحة فيه موقوتة بفصل الصيف . وتظل شهور الشتاء وبعض الربيع والخريف معطلة . أما الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر فيمكن أن يتحول الى منطقة سياحية عالمية . تزخر بآلاف السائحين على مدار السنة . ولقد بدأت تجربة صغيرة على هذا الشاطئ . بإنشاء فندق وقرية سياحية صغيرة . وأثبتت التجربة نجاحا كبيرا . وماعلينا الآن الا أن نفتح الميدان من أوسع أبوابه . وأن نخلق صناعة ضخمة متكاملة تتكلف مئات الملايين أو آلافها . لنجنى منها مئات الملايين أو آلافها أيضا . ولقد سمعت أن شركة سويدية ضخمة . متخصصة فى مجال الاستثمار السياحى . تعرض تنفيذ هذا المشروع . واستغلال الشاطئ بأكمله . ولاشك أن التمويل الداخلى محدود . والمشروعات الصغيرة المبعثرة . لاتحل المشكلة . ولكنها تزيدها تعقيدا . ولاشك أن مشروعا ضخما كبيرا . يتكفل ببناء سلسلة من الفنادق والقرى السياحية . ويهيئ لها مايلزمها من شواطئ للاستجمام . ومعدات للصيد . وسباق الزوارق . وما الى ذلك من متع . وتضيف الى ذلك كله . انشاء طرق مرصوفة تربط الشاطئ بالصعيد . حيث يمكن للسائحين أن يخصصوا بضعة أيام لزيارة الآثار فى الأقصر وأسوان وغيرهما . والعودة الى شاطئ البحر بالسيارات . لاشك أن مشروعا كهذا كفيل بأن يجتذب مئات الألوف من السائحين المغرمين بقضاء فصل الشتاء على ساحل البحر . وليس ذلك تيسيرا الا على شاطئ البحر الأحمر .

ثم ان هناك آلافا من الأفكار الأخرى التى تخدم السياحة . وتطورها . وتجعل منها موردا أساسيا من موارد الدخل القومى . ولو راجعت ملفات الوزارة يا سيدى الوزير . لوقفت بعض ماجاء فيها . ودرست ماتقدمت به الشركات الكبرى من عروض فى هذا المجال . ثم اتخذت القرار . وبدأت التنفيذ . وتابعته . لحققت وزارتك وحدها أكثر مما تحققه سائر الوزارات فى مجال التنمية الاقتصادية .

ولقد شهدت بنفسى ما فعلته تونس . ورأيت بعينى عشرات الطائرات . تعود من مطار تونس الى مطارات أوروبا بركابها . لأنه لاتوجد أية أماكن خالية على شواطئها الممتدة مئات من الكيلو مترات . وقد أقيمت فى جزيرة جربة وحدها مئات الفنادق . تمتلئ عن آخرها بالسائحين من كل مكان . وكان ذلك بفضل استثمار أجنبى على نطاق عالمى واسع . أتى ثماره فى خلال أعوام قلائل . ولدينا أكثر مما لدى تونس من وسائل جذب السياح . لدينا الآثار والسياحة العلاجية . بالاضافة الى سياحة الترفيه وقضاء الاجازات . ولكننا لم نستغل واحدا فى المائة من امكانياتنا . فلعلك ياسيدى الوزير تستطيع أن تخطو خطوات سريعة فى هذا الطريق المرصوف بالذهب .

مرض العصر

مرض العصر الحديث فى مصر . هو هذا الاهتمام الزائد عن الحد . بكرة القدم ومبارياتها ولاعبيها والمتفرجين عليها . ولو كانت الأمور تسير فى الملاعب كما ينبغى أن يكون السير . لما كان هناك اعتراض ولامانع . أما أن يتحول الملعب إلى ميدان قتال . بالأيدى والأقدام والكراسى والحجارة . والألسنة القذرة التى تقذف السباب الجارح وتحمله ميكروفون الإذاعة والتليفزيون إلى الناس فى بيوتهم ونواديهم . فذلك أمر لايمكن السكوت عليه . أو التهاون فيه .

وقد تحدث الكثيرون عن هذه الظاهرة وأسبابها وطرق علاجها . ولكنى للأسف الشديد لم أقتنع بأية طريقة من طرق العلاج المقترحة . ولست أدرى لماذا يخاف الناس من الجهر بالعلاج الحاسم . وهو إلغاء هذه اللعبة . ولتبحث الجماهير عن متعة أخرى تتسلى بها .

وكرة القدم لم تعد رياضة . فالمهتمون بها يعدون بالملايين . وهم لايمارسونها . بل يتفرجون عليها . أما الرياضيون أنفسهم فهم قلة تعد بالمئات . وهم لايلعبون لأنهم يحبون الرياضة . بل لأسباب عديدة أخرى . كطلب المال أو الشهرة . وأنا أعرف أن كرة القدم كادت تكون « مؤسسة » من مؤسسات الدولة . ففيها لاعبون واداريون وحكام ورؤساء أندية . ومعلقون ونقاد رياضيون . ووراءهم جميعا ملايين من الهواة المتعصبين . الذين يجدون فى الفرجة عليها متنفسا لغرائزهم . وموضوعا لأحاديثهم ومجادلاتهم ومراهناتهم على نتائجها . ولو تدبرنا الأمر . لما وجدنا من وراء كل ذلك فائدة حقيقية تذكر . لا للناس كأفراد . ولا للجماهير كأمة . وخير للجميع أن يجدوا لهم تسلية أكثر نفعا . وأكثر أدبا وتهذيبا واحتراما للنفس والغير . ولن تنقلب الدنيا رأسا على عقب اذا توقفت هذه المباريات . وبخاصة أننا اذا خرجنا الى الميادين الدولية . أصابتنا الهزيمة والعار . ولم نحقق ربحا ماديا كان أو أدبيا .

فالى أن ترتقى أذواق الناس . وتتعلم الجماهير كيف تتفرج على المباريات فى أدب . ويتعلم اللاعبون أصول الرياضة الحقيقية . واحترام الحكام احتراما كاملا . ويكف المشاغبون عن النزول الى الملاعب وافساد المباريات بالحجارة والألفاظ النابية . الى أن يتم ذلك . علينا وقف هذه المباريات جميعا . من الدورى الى الكأس . والاكتفاء باذاعة المباريات الأجنبية فى التليفزيون من حين لآخر . حتى نتعلم اللعب . ونتعلم احترام الحكام . ونتعلم أدب المشاهدة والتحمس لفريق أو لآخر .

ان كرة القدم فى مصر . لم تعد « لعبة » . بل أصبحت لعبا بالنار . وكان من الممكن أن تحدث فى بورسعيد والاسماعيلية . حوادث يسقط فيها عشرات من القتلى والجرحى . لولا أن الله سلم . ولم يكن ما حدث فى هاتين المدينتين شيئا جديدا على ملاعبنا . فمن قبل وقعت أحداث مؤسفة جدا فى ملاعب أخرى . وآن لنا أن نتعظ ونأخذ بالحيطة الواجبة . وبخاصة أن المسألة كلها لعب فى لعب . لاجدوى منه على الإطلاق .